University of Tehran Press

Ebn-Almoqaffa in Narrative and Poetry

Online ISSN: 3092-6475

Home Page: https://jal-lq.ut.ac.ir

Nationalism and its manifestations in Hanna Minah's novel "Snow Comes Through the Window"

Nasrin Bagherzadeh Fasghandis[1*] | Sadegh Hashemi Amjad[2] | Ali Sharafi[3]

1. Corresponding Author, Department of Arabic Language Teaching, Farhangian University, Tehran, Iran. E-mail: Dr.N.Bagherzadeh@cfu.ac.ir
2. Department of Arabic Language Education, Faculty of Theology, Hakim Sabzevari University, Sabzevar City, Iran. Email: s.amjad0936@gmail.com
3. Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts and Humanities, Azad University, Abadan, Iran. Email: alisharafi92@yahoo.com

ARTICLE INFO

Article type:
Research Article

Article History:
Received: 01 August 2025
Revised: 22 February 2026
Accepted: 30 March 2026
Published Online: 13 June 2026

Keywords:
Resistance literature,
manifestations of patriotism,
Hanna Maina,
the novel "Snow Comes Through the Window"

ABSTRACT

The concepts of homeland and patriotism occupy a central position in modern Arabic literature, reflecting themes such as resistance, struggle, alienation, and colonial experience. Patriotism represents not only emotional attachment to the homeland but also a cultural and intellectual framework through which identity and collective awareness are constructed. Hanna Mina, one of the most prominent Syrian novelists, presents patriotism as a lived social experience grounded in realism and national commitment. His literary works demonstrate a deep engagement with national issues and portray society's struggles within historical and political contexts. This study aims to investigate the manifestations of patriotism in Hanna Mina's novel Snow Comes Through the Window by employing a descriptive-analytical method. The research seeks to identify how the writer expresses national consciousness and reflects the realities of the Syrian homeland through narrative structure, thematic development, and characterization. The analysis focuses on Mina's representation of struggle, resistance, and collective responsibility as essential elements of patriotic discourse. The findings reveal that patriotism in the novel transcends a mere reaction to colonial domination and evolves into a comprehensive national vision grounded in self-awareness, intellectual awakening, and a commitment to liberation. The novel exposes colonial practices while reinforcing positive patriotism founded on belonging, cultural identity, and emotional attachment to the homeland. Ultimately, the study concludes that patriotism in Hanna Mina's work functions as an integrated framework encompassing resistance, identity formation, and social responsibility, rather than appearing solely as a secondary consequence of political struggle. English Resistance literature, manifestations of nationalism, Hanna Maina, the novel "Snow Comes Through the Window."

Cite this article: Bagherzadeh Fasghandis. N., Hashemi Amjad, S. & Sharafi, A. (2026). Nationalism and its manifestations in Hanna Minah's novel "Snow Comes Through the Window". *Ebn-Almoqaffa in Narrative and Poetry*. 22 (2), 229-245. http//doi.org/10.22059/jal-lq.2026.401631.1533

© Authors retain the copyright and full publishing rights.
Publisher: University of Tehran Press.
DOI: http//doi.org/10.22059/jal-lq.2026.401631.1533

جامعة طهران

ابن المقفع في القص والقصيد

موقع المجله: https://jal-lq.ut.ac.ir

الترقيم الدولي الموحد الإلكتروني: 3092-6475

الوطنية ومظاهرها في رواية «الثلج يأتي من النافذة» لـ حنّا مينة

نسرين باقرزاده فسقنديس[1*] | صادق هاشمي أمجد[2] | علي شرفي[3]

١. الكاتب المسئول، قسم تعليم اللغه العربيه، جامعة فرهنجيان، طهران، إيران. البريد الإلكتروني: Dr.N.Bagherzadeh@cfu.ac.ir

٢. قسم تعليم اللغة العربية، كلية الإلهيات، جامعة الحكيم السبزواري، مدينة سبزوار، إيران. البريد الإلكترونى: s.amjad0936@gmail.com

٣. قسم اللغه العربيه وآدابها، كلية الآداب و العلوم الإنسانيه، جامعة آزاد، آبادان، إيران. البريد الإلكترونى: alisharafi92@yahoo.com

اطلاعات مقاله

نوع مقاله:
علمي

تاريخ‌هاي مقاله:
تأريخ الاستلام: ٢٠٢٥/٠٨/٠١
تأريخ المراجعة: ٢٠٢٦/٠٢/٢٢
تأريخ القبول: ٢٠٢٦/٠٥/٣٠
تأريخ النشر: ٢٠٢٦/٠٦/١٣

الكلمات الرئيسة:
الأدب المقاوم،
مظاهر الوطنية،
حنّا مينة،
رواية «الثلج يأتي من النافذة».

الملخص

للوطن والوطنيّة ،في الأعمال الأدبية ،دلالاتٌ ومفاهيمُ مختلفة مثل المقاومة والنضال والاغتراب والاستعمار. إنّ حبّ الوطن والحفاظ على الهويّة الوطنيّة يؤديّان إلى تحقيق الهوية الإنسانية، ولهما قيمتهما الخاصة. تتميّز الوطنية في الأعمال الأدبية لـ "حنّا مينة" بصدقها وإخلاصها تجاه محتواها، ممّا جذب اهتمام الباحثين الذين تناولوا أعماله بالدراسة. قد عبّر حنّا مينة عن حبّه للوطن وذلك بسبب أعماله ودعوته إلى الوحدة في التعبير عن حقائق الوطن وظهرت آثار ذلك بوضوح في رواياته. الغاية الرئيسة من دراسة هذا البحث الذي اعتمد على المنهج الوصفي التحليلي هي التعرّف على مظاهر الوطنيّة في رواية «الثلج يأتي من النافذة» لحنّا مينة ،وتبيين التزام الكاتب بمسائل الوطن. تسعى هذه المقالة إلى دراسة مظاهر الوطنية في أدب الكاتب السوري حنّا مينة لكي ترصد ردّة فعله إزاء أحداثها ومدى علاقتها بمسائل الوطن السوري. قد عكس هذا الكاتب روح النضال وحب الوطن بأسلوب سردي سلس. من أهم ما توصلت إليه الدراسة هي: أن مظاهر الوطنيّة في الرواية المذكورة تتجاوز كونها مجرد ردّ فعل على الاحتلال، لتؤسس خطابًا وطنيًا شاملًا يقوم على بناء الوعي الذاتي والهوية، فقد تجلّت الوطنيّة بشكل أساسي في تحفيز اليقظة الفكرية لدى أبناء الوطن، وفي الدَّعوة إلى التَّحرر والنضال كمسؤولية وطنية لا مجرد مقاومة،كما عملت الرواية على فضح الممارسات الاستعمارية وكشف زيفها، الأمر الذي عزّز مفهوم الوطنيّة الإيجابيّة القائمة على حبّ الوطن والتَّعلق به، والحنين إليه كمصدر للانتماء والإبداع، مما يؤكد أن الوطنية في هذا العمل تمثل إطاراً جامعاً يضم النضال وغيره من القيم، لا أنها تأتي كنتيجة ثانوية للمقاومة وحدها.

العنوان: باقرزاده فسقنديس، نسرين؛ هاشمي أمجد، صادق و شرفي، علي (٢٠٢٦). الوطنية ومظاهرها في رواية «الثلج يأتي من النافذة» لـ حنّا مينة. ابن المقفع في القص والقصيد، ٢٢ (٢) ٢٢٩-٢٤٥.

http//doi.org/10.22059/jal-lq.2026.401631.1533

© المؤلفون.

الناشر: دار جامعة طهران للنشر

DOI: http//doi.org/10.22059/jal-lq.2026.401631.1533

۱. المقدمة

يحتضن الوطن الإنسان كما تحتضن الأمّ الحنونة وليدها منذ ميلاده، فهي ترعاه، وتوفّر له موارده، وتلبّي احتياجاته. يشعر الأديب بألم وطنه كما يتألَّم لروحه؛ فكلّما اعتدت عليه الأعداء وسعت إلى تمزيق أجزاء منه، شعر وكأنَّ جزءًا من كيانِه يُنتزَع. لقد مرَّت الأراضي العربية عبر عقودٍ مديدة بحروبٍ وأحداثٍ جسام، تركتْ أثرًا عميقًا في أدباء هذه الربوع. يتَّخذ الأدباءُ من أقلامِهم منابرَ لقضايا أوطانهم، فيسهمون بخطى راسخة في مسيرة نضال الأمّة؛ فحين يُطالع القارئ مسيرةَ الأدب العربي الحديث، يجد أدباء كُثرًا على الساحة الأدبيّة، سخَّروا مواهبَهم الأدبية سلاحاً لحماية تطلّعات الشّعوب المسلمة ونضالها ضد الطغاة والمحتلّين. هؤلاء هم أعلامُ أدبِ المقاومة، بثقافتهم النّضاليّة ورؤاهم العميقة في قضايا الوطن والحكم والسياسة. وقد امتزج في نصوصِهم تأثير القرآن بألفاظه ومعانيه، ممَّا أضفى عليها بُعدًا روحيًّا خاصًا. دافع أولئك الأدباء عن أوطانهم، فذاقوا في سبيلها صنوفَ العذابِ والاغتراب؛ فجاءت أعمالهم وأساليبهم تعبيرًا عن رفضٍ عنيفٍ، وصرخة صادقة، ووهج متَّقد، ونقد لاذع في أحيانٍ كثيرة، ضدّ الاستعمار وممارساته القمعيّة، وكشف مؤامراتِه. وقد دفعتِ الفاجعاتُ الداميةُ في البلاد الإسلاميّة الأدباء الملتزمين إلى التأمُّل العميق؛ فسعى كلّ أديبٍ وفنّانٍ في هذا المضمار إلى فتح آفاقٍ جديدة تحتضن الهموم الجماعية والهواجس المصيرية. وأسفر هذا التأمُّلُ عن إبداعاتٍ راسخةٍ في حبِّ الوطن، حتّى بات الفكرُ لهؤلاء الأدباء تجسيدًا لرفض المعتدين، وتحريضًا للناسِ على الصمودِ بكلِّ فئاتِهم، والمقاومة- كما ينبغي أن نُبيِّن - لا تعني اللجوءَ إلى غريزة القسرِ للقتال والاعتداء، بل هي دفع الظلم والقبح، ومواجهة الشر والفساد، وقمعهما بكلِّ السُّبل المتاحة، المباشرة وغير المباشرة (الجمعة، ۲۰۰۷ أ: ۵۱-۵۲). إنها باختصارٍ رفضُ الذلِّ والخضوع والطاعة والاستعباد. وأدبُ المقاومة، بما يتَّصف به من خصائصَ يسعى إلى الحرية والكرامة والجمال والسعادة، يظلُّ في صدارةِ أنماطِ الصمودِ الجديرةِ بالاعتزاز (الجمعة، ۲۰۰۷ ب: ۱۴۱-۱۴۲).

عانى المجتمع السوري من الاستعمار، خاصة في الفترة التي لم يكن الوضع السياسيّ والاجتماعيّ في سوريا مؤاتياً. في هذا الوقت تسبّبت آلام الحرب وانعدام الأمن وسيطرة الديكتاتوريين الاضطرابات الاجتماعيّة والفكريّة في سوريا وأثّرت على مضمون الآثار الأدبيّة، وهكذا ارتبط الأدب السوري بالوقائع واختلط بالسياسة كثيرًا. تعتبر الأدباء من أهم رموز الثقافة والأدب في المجتمعات ومن بين هؤلاء الأدباء المبدعين يبرز اسم الروائي حنّا مينة، الذي عرف بقدرته الفريدة على التعبير الأدبي وإيصال الأفكار والمشاعر بطريقة فنيّة متقنة. خاطب حنّا مينة الأزمات السياسية والاجتماعية لمسلمي سوريا ودافع عن أمته المظلومة وأناسها المشرّدين، كما دعاهم إلى مقاومة طغيان الحكام المستبدين وعدوان القوى الإمبريالية. يهدف هذا البحث إلى دراسة مظاهر الوطنية في رواية «الثلج يأتي من النافذة» للكاتب السوري حنّا مينة وتحليلها والتّعرف على العوامل والتّأثيرات التي أثّرت في كتابتها. تعتبر رواية «الثلج يأتي من النافذة» موضوعًا مثيرًا للاهتمام، حيث يتمحور البحث حول دراسة هذه الرواية وفهم المواضيع والمغزى الذي تحملها الرواية.

نظرًا لكثير من الأبحاث التي ركّزت على الوطنية في البلاد التي تقاوم ضد الاستعمار كفلسطين ونضال شعبها ضدّ دولة إسرائيل المغتصبة، فقد تمّ الاهتمام بمظاهر الوطنية في الدّول الاسلامية الأخرى كأفغانستان والعراق والكويت وإلخ، لكن الأدب المقاوم في سوريا لم يُدرَس بصورة جادّة من قبل الباحثين. لذا ضرورة هذا البحث هي دراسة عناصر الوطنيّة وتحليلها في رواية «الثلج يأتي من النافذة» للكاتب حنّا مينة، وبما أنّه من الضروري أن يكون الإنسان المسلم على دراية بأوضاع المسلمين الآخرين وفقًا لوصايا أهل البيت (ع) والزّعماء الدينيين؛ فإنّ الحاجة إلى معالجة أوضاع المجتمعات في البلدان الإسلامية مثل سوريا تصبح أكثر وضوحًا. يقول نبي الإسلام الكريم في هذا الصدد: «مَنْ سَعَى في حَاجَةِ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ فَكَأَنَّمَا عَبَدَ اللّهَ تِسْعَةَ آلَافِ سَنَةٍ صَائِماً نَهَارَهُ قَائِماً لَيْلَه» (المجلسي، ۱۴۰۳: ۳۱۵). بالإضافة إلى ذلك، فإن الضرورة الأخرى لهذا البحث يمكن اعتبارها تشجيع المجاهدين في الوقوف ضدّ قوى العالم المتعجرفة وإدانة الأعمال الإرهابيّة. يحاول هذا البحث أن يجيب على السؤالين التاليين:

۱-كيف تجلّت مضامين الوطنية في رواية «الثلج يأتي من النافذة» وما هي أكثر استخدامًا؟

٢-ما هي طرق حنّا مينة في تعبيره عن مظاهر الوطنية؟

١-١. خلفية البحث

قد تطرّق الباحثون إلى الوطنية ومظاهرها حيث قد تركوا عددًا من البحوث في هذا المجال، لكنهم لم يكتبوا بحوثاً حول الوطنية ومظاهرها في أعمال حنا مينة عامة ورواية «الثلج يأتي من النافذة» خاصة، لذا التطرّق إلى هذا البُعد من أدبه يعد بحثًا جديدًا، فيما يلي نشير إلى بعض البحوث التي قد ترتبط بالوطنية:

١- مقالة «مفهوم الوطن ومظاهره في الأدب العربي» بقلم صادق مكي (١٤١٢ه)، العرفان، المجلد ٧٦، الجزء ٤. من أهم ما توصّل إليه الباحث هو أن لمعرفة مفهوم الوطن ينبغي أن نلجأ إلى تعريف هذا المفهوم عند الغربيين والعرب في آن معا وذلك لسببين إثنين: أولهما: إنّ فكرة الوطن ليست مقتصرة على جماعة دون جماعة، ولا على شعب أو إنسان دون إنسان، وثانيهما: أنّ النفس الإنسانية واحدة، وما يعتمل فيها من المشاعر المتشابهة وإن اختلفت الأوطان والأصقاع والبلاد والدول والأقاليم. إنّ هذا المقال يفتقر إلى تطبيق هذه الرؤية النظرية على نصوص أدبية محدّدة لاختبار صدقها.

٢- مقالة «تمثيل صورة الوطن في أشعار بلند الحيدري»، على أصغر حبيبي والهام قرباني (١٣٩٤)، مجلة أدب المقاومة، العدد ١٣. من أهم ما توصل إليه البحث أن الشاعر قد اتّخذ نقد القدرة المسيطرة في المجتمع منهجًا له، حيث عبّر عن الاستعمار في العراق الذي قد أدّى إلى التخلّف بصورة واضحة وأظهر أثر هذين الأمرين في الجيل القادم لبلده. انحصر الوطن في هذا البحث كونه نتاجاً للقهر السياسي (الاستعمار والتخلف)، وهذا قد لا يغطي الأبعاد الوجودية أو الطبقية أو الإنسانية للوطن التي تظهر في الرواية.

٣- مقالة «مفهوم الوطن في الرواية العبريّة المعاصرة: دراسة في رواية "حمامة وصبي" للأديب الإسرائيلي مئير شاليف»، بقلم عبدالعلي علام أستاذ اللغة والأدب العبري المعاصر المساعد بجامعة المنوفية. تعرّض الباحث في هذه الدراسة لمفهوم الوطن في الرواية المذكورة، حيث نال فيه قدر المستطاع من دراسة موضوعات كالهويّة الوطنيّة والقوميّة وعناصر تأليفها. تقدم هذه المقالة مفاهيم جاهزة عن الهوية القومية، لكنها قد لا تصلح لقراءة رواية يسارية تنظر للوطن من منظور طبقي أممي.

كما كتبت بعض البحوث حول رواية «الثلج يأتي من النافذة»، حيث تطرّق كلّ واحد منها إلى بُعد من أبعاد الرواية المذكورة؛ لكن لم تدرس هذه الرواية من حيث اتجاهاتها الوطنية. فيما يلي نشير إلى البحوث التي تم كتابتها حول الرواية المذكورة:

١- مقالة «تجليات الكرونوتوب (الزمكانية) في رواية «الثلج يأتي من النافذة» لحنّا مينة» لسجاد اسماعيلي (١٤٤١ه)، مجلة اللغة العربية وآدابها، السنة ١٥، العدد٤. ومن أهم نتائج البحث المذكور أن علامات الكرونوتوب تظهر في الأماكن المركزية والطرفية، وكذلك في العنوان والمقدمة وشخصياتها وخصائصها. ركزت المقالة على البعد البنيوي الشكلي (الزمكان) بشكل مكثف، وأهملت المضمون الوطني الذي تمثله الرواية، فالكرونوتوب مهم لفهم البنية السردية، لكن تغييب البعد الأيديولوجي والوطني يجعل الدراسة قاصرة عن فهم الرسالة الأساسية للرواية، خاصة أن حنا مينة معروف بتوظيف أعماله لخدمة القضايا الوطنية والاجتماعية.

٢- مقالة «دراسة تحليلية لرواية الثلج يأتي من النافذة»، للكاتبين محمد هادي مرادي ومحسن خوش قامت (٢٠١١)، مجلة إضاءات، السنة٢، العدد٨. ومن أهم نتائج هذا البحث أنّ حنّا مينة في هذا العمل من خلال توظيفه عناصر القصة رسم النضالات السياسيّة للمثقّف ودمج أيديولوجيته وأفكاره الثوريّة مع المعتقدات الدينيّة بطريقة فريدة. ركزت هذه المقالة على دور المثقف والنضال السياسي، لكنها لم تقدم تحليلاً للعلاقة الجدلية بين الفرد والوطن، أو كيف تشكل الشخصيات وعيها الوطني في ظل الاحتلال والصراع.

٣- رسالة ماجيستير «البُعد السياسي والاجتماعي في رواية«الثلج يأتي من النافذة» لحنا مينة»، لريمة ريماش (٢٠١٤م)، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، الجمهورية الديمقراطية الشعبيّة. ومن أهم النتائج التي توصّل إليها البحث المذكور أن

التشرد كظاهرة اجتماعية فرضت نفسها على الرواية المذكورة نظرًا لكون الإنسان يواجه العديد من أزمات ومشاكل المجتمعات الإنسانية، فاهتم البحث بالتشرد كنتيجة اجتماعية، متجاهلة أن التشرد في الرواية غالبا ما يكون نتيجة حتمية للاحتلال والصراع الوطني أو كيف يوظفه حنا مينة لنقد واقع التشرذم والاغتراب تحت وطأة الاستعمار.

يدرس البحث الحاضر الوطنية كممارسة جماعية وتنظيمية، من خلال شخصية "فياض" الذي يتخفى بأسماء متعددة (ميشيل، سليمان) ويكافح عبر الكتابة السرية والعمل السياسي، كما يكشف أن الوطنية في الرواية ليست مجرد شعور بالحنين، بل هي "التزام" و"فعل" في زمن الحرب الباردة والنضال اليساري، وهذا بُعد غائب في دراسات السابقة؛ فيتجاوز البحث الحاضر قصور المقالة الأولى (التي ركزت على الشكل البنيوي) بأنه يدرس المضمون الوطني دون إهمال الجوانب الفنية، كما يتجاوز قصور المقالة الثانية، بأنه لا يكتفي بتناول البعد السياسي أو الاجتماعي بشكل عام، بل يفكك مفهوم "الوطن" ذاته كمنطلق فكري وإيديولوجي، ويتجاوز قصور الرسالة الثالثة التي رأت التشرد كظاهرة اجتماعية فقط، فيكشف كيف أن التشرد في الرواية هو نتاج وطني (احتلال، تهجير) وليس مجرد ظاهرة اجتماعية، أي يربط المأساة الفردية بالمأساة الجماعية، ويظهر تداخل الشخصي بالوطني في تشكيل وعي الشخصيات.

۲. حنّا مينة وملخّص الرواية

ولد حنّا مينة في مدينة اللاذقية عام ١٩٢٤، عمل في بداية حياته في كثير من المهن ،فعمل حلّاقاً وحمّالاً في ميناء اللاذقية، ثم كبحّار على السفن والمراكب. بدأت حياته الأدبيّة بكتابة مسرحيّة «دونكيشوتيه» وللأسف ضاعت من مكتبته فتهيّب من الكتابة للمسرح،كتب روايات وقصصًا كثيرة بعد ذلك، إذ زادت على ٣٠ رواية أدبيّة خصّ كثيرًا منها للبحر الذي عشقه وأحبّه، كما كتب القصص القصيرة في البداية في الأربعينيات من القرن العشرين ونشرها في صحف دمشقية كان يراسلها، وفي عام ١٩٤٧ استقرّ به الحال بالعاصمة دمشق وعمل في جريدة الإنشاء الدمشقية حتّى أصبح رئيس تحريرها. أولى رواياته الطويلة التي كتبها كانت (المصابيح الزرق) في عام ١٩٥٤ .وتوالت إبداعاته وكتاباته بعد ذلك، حيث أنّ الكثير من رواياته تحوّلت إلى أفلام سينمائية سورية ومسلسلات تلفزيونية، ساهم في تأسيس رابطة الكتّاب السوريين واتّحاد الكتّاب العرب، ومن أشهر رواياته وأعماله الأدبية هي: المصابيح الزرق، وعروس الموجة السوداء، والشراع والعاصفة، والرجل الذي يكره نفسه، والياطر، والفم الكرزي، والأنبرسة البيضاء، والذئب الأسود، ونهاية رجل شجاع، والثلج يأتي من النافذة، والشمس في غائم، وبقايا الصور، والمستقع، وإلخ... توفّي حنا مينة يوم الثلاثاء ٢١ أفريل ٢٠١٨.

«فياض» بطل رواية «الثلج يأتي من النافذة» أستاذ جامعي يساري وكاتب معارض. بدأت الحكومة السورية صراعًا مع الشعب من أجل تمهيد الطريق أمام معاهدة الدفاع المشترك، واضطهدت الإصلاحيين بسبب هذه المعاهدة، وعندما اشتدّ الاضطهاد، ذهب «فياض» إلى بيروت لمواصلة نضاله، فاختار بيت صديقه القديم «خليل» في بيروت؛ لكن المهاجرين يتعرّضون للاضطهاد الشديد في لبنان. يطلب «فياض» من «خليل» أن يجد له عملاً بعيداً عن الجريدة وأجوائها حتّى يتمكن من الكتابة تحت اسم مستعار، ومن خلال أصدقاء «خليل» يحصل على عمل في مطعم «الجبل» تحت اسم مستعار «ميشيل». عاد «فياض» إلى منزل أبوخليل بعد تعرضه لإهانة من أحد زبائن المطعم، بعد ذلك اختفى في منزل «جوزيف بوعبدو» باسم مستعار «نادر» بناءً على نصيحة أصدقائه، وبعد أن أصبح «جوزيف» عاطلاً عن العمل، غادر «فياض» منزله، وبدأ يعمل تحت الاسم المستعار «سليمان» عاملاً في أحد المباني في حي كرم الزيتون. استأجر «فياض» منزلاً من رجل اسمه «أبوروكوز» بمساعدة عمّال البناء، وبعد أن لاحظ الظروف غير الآمنة للمهاجرين، وافق على عرض صاحب المنزل، وهو العمل في ورشته، وبعد مرور عام، ذكرت الصحف أن العملية جرت في وقت مبكر من الصباح وأن مجموعة من موظفي الجمارك اقتحمت قبو المطبعة، والرجل الذي تم القبض عليه في هذه القضية يدعى «فياض»، وهو ليس لبنانياً، وكان يقود طباعة المنشورات الثورية، وفي صباح أحد الأيام، وبعد مرور ما يقرب من ستة أشهر، هرب فياض من السجن وذهب إلى بيروت (مينة، ١٩٧٧: ٣٧٢-١).

٣. الوطنية ومظاهرها في رواية «الثلج يأتي من النافذة» لحنّا مينة

إنّ حنّا مينة جعل رواياته في خدمة المجتمع السوري وحلّ أزماته السياسيّة والاجتماعيّة، وفي هذا الصدد وصف الظروف والمصاعب والمشاكل التي قد سيطرت على المجتمع. إنّه قام بذكر صعوبات المجاهدين في طريق مجاهدتهم والأيام الأليمة للأمة السورية ومناهضة الأعداء والايثار في ميادين الجهاد للتخلّص من الخفقان والإستبداد؛ لأن الكاتب ينبغي عليه أن يستخدم فنّه في خدمة المجتمع وأبنائه ولا يفكر بخلق الجمال من خلال قلمه أو عدسته. أشار الكاتب السوري حنّا مينة إلى الأزمات السياسيّة والاجتماعيّة التي يعيشها الشعب السوري في الزمن المعاصر، ودافع عن الشعب المظلوم في سوريا، وحثّه على المقاومة أمام اعتداء القوى الاستعماريّة بالتنويه على مكانة الوطن ولزوم حفظ الهويّة الوطنيّة. الغرض الأساسي من هذه الدراسة، بعد تحديد واستخراج مضامين الوطنية في الرواية المذكورة، هو تحليل مظاهر عناصر الوطنية الموجودة فيها.

٣-١. ترسيم صورة الدول الاستعمارية وفضح أسرارها

إن ظاهرة الاستعمار هي إحدى المسائل المطروقة في روايات حنّا مينة؛ هذه الظاهرة هي بمعنى سيطرة بعض الدول على البعض الآخر وذلك لاشاعة السيطرة في مجالات مختلفة كالاقتصاد، الاجتماع، السياسة والثقافة. إنّ أباحاقّة أحد منظري أدب المقاومة يقول: «أن الناس في جميع العصور عانت من ظلم الحكام والأمراء، حيث في كثير من المواقف يؤدي إلى فساد الدين ومحو الفضائل كما يسلب الثقة بالنفس من الشخص ويزرع النفاق والخداع في المجتمع» (أبوحاقة،١٩٧٩: ٣٤٨)، فبعد أن أصبحت الأجواء السياسيّة والاجتماعية والثقافيّة في سوريا مظلمة ورهيبة جداً، ساد الصمت البارد أجوائها حيث هذه الأوضاع قد غيّرت سوريا في مختلف الأبعاد. إن الفساد الاجتماعي بمختلف أنواعه،كان عواقب نتيجة تلك الأحداث المشينة. صوّر مينة في روايته مشاكل الحرب وصعوبتها كما رسم الأوضاع المصطربة والمسيطرة على المجتمع السوري.

يرسم الكاتب في جزء من رواية «الثلج يأتي من النافذة» إحدى المفاسد الرائجة في لبنان التي هي حصيلة سيطرة الاستعمار على المجتمع وهو الفساد الاقتصادي الذي قد أثّر في حياة الناس، إذ القدرة أصبحت في أيدي أصحاب الثروات والرأسماليين إلى أن إضطربت أمور المجتمع وكثرت المشاكل؛ لإنّ هذه الرواية تشير إلى مرحلة خروج القوّات الفرنسية من سورية وما بعدها بسبب ضغط الرأى العام ونفوذ الجيش في أمور البلد ووقوع أربعة انقلابات فيه مابين سنوات ١٩٤٩ إلى ١٩٥١ للميلاد (مجموعة من كتّاب آكاديمية العلوم في اتّحاد السوفيتي، ١٣٦٧: ١٩)، إحدى تلك المشاهد الدالة على هذا النوع من الفساد هو المشهد الذي يرتبط بزمن اشتغال «فيّاض» في إحدى مطاعم لبنان أي مطعم الجبل، حيث قد افتتح جنب هذا المطعم، مطعما آخر؛ فقد وصف مينة صورة المستعمرين البشعة في حوار لـ«فيّاض» مع أحد زملائه هكذا:

فتحَ رجلٌ مطعمًا قريبًا، فَأَصدَرَت السَيِّدَةُ تعليمَاتها بإغلاقِهِ، أصبحَ رجالُها مِن زَبائِنِه الدَّائِمين، يَسهُرُونَ ويخلُقونَ المشاكِلَ مِن كلِّ لَونٍ....ورغم جُهُودِ صاحِبِ المَطعَمِ لإرضائِهِم كانوا يَجِدُونَ أسبابًا كثيرةً للشَغَبِ والعِراك.....يأتيهُم بِبَطحَةِ العَرَقِ النَّظيفةِ المَختُومَةِ فتُستَبدَل بِبَطحَةٍ مِن نَفسِ الماركَةِ فِيهَا ذُبابَةٌ، أو يأتيهُم بِطَبَقِ الطَّعام فيَضَعُونَ فيه شَعرَةً. ومهما كان دِفاعُهُ فلابُدَّ مِن تَحطِيمِ المائِدَةِ....ولمّا تشكّى نَصَحُوه بالتَّفاهُمِ مَعَ السَيِّدَةِ...فدفعت هذه تعويضًا مناسبًا، وَصَارَ المَطعَمُ لها، وصاحِبُهُ مُدِيرًا من قِبَلِها (مينة، ١٩٧٧: ٧٧).

يتبيّن من خلال هذا التقرير الدقيق أنّ مينة استطاع أن يكشف السياسات الاستعماريّة الخبيثة للناس موضحًا أبعادها بهدف تثقيف الناس في هذا المجال؛ لأنّ ما أخذته الرواية السياسية على عاتقها إلى طرح المشاكل السياسية، وحقائقها مرتكز في ذلك إلى عدّة وظائف فنيّة، لتبرز وجودها على الساحة التي يمكن أن نلخصها في بلاغ الإقناع والدعاية والالتزام، واللجوء إلى السرد التفصيلي للوقائع والأحداث السياسية بالإيجابية أو السلبية، والارتباط بسياق وطني ملىء بالصراعات التي تلزم كل روائى بالخوض فيه، وتوضيح حقائق سياسية، والاعتماد على بطل سياسي يكون محورًا أساسيًا في النص (ريماش، ٢٠١٤: ٢٤).

فوفقًا لما جاء أعلاه عن وظائف الرواية السياسية قد لجأ الكاتب إلى السرد التفصيلي للوقائع السياسية بالسلبية، حيث يعتقد مينة أن الاستعمار قد إختار أصحاب المناصب وذوي مسئوليات ليكي يستطيع أن يحقق أهدافه في المجتمع السوري وكذلك يقوم بتضعيف عقائد الناس ومن ثم ينهب ثرواتهم الالهية، كما يشير إلى ديكاتورية خاصة من قبل بعض أصحاب الثروات هؤلاء الذين قد دعمهم الاستعمار لكي ينشروا أنواع الفساد بين الشباب ليستطيعوا أن يحكموا عليهم بعد تضعيف عقائدهم، فمالكة المطعم أمرت عمالها أن يقوموا بتخريب المطعم الجديد وذلك عن طريق الفوضى والهمجية، حيث عجز مالك المطعم الجديد عن جلب رضاهم إلى أن نصحوه بأن يتّفق مع مالكة مطعم «الجبل» لكي يتخلص من هذه المشاكل فورا وهكذا استطاعت صاحبة مطعم «الجبل» أن تكون مديرة له وهذا كله يدل على الفساد الرائج في المجتمع؛ لأن القدرة كانت محصورة في أيدي بعض فئات المجتمع. وكذلك يدل النص أعلاه على الفساد الاقتصادي المسيطر على مجتمع لبنان؛ لأنّ القدرة الاقتصادية بعد سيطرة الاستعمار وتسربها في جميع أقسام المجتمع أصبحت عند مجموعة محدودة من الناس هم يقدّرون مصير المجتمع وفي هذه الأثناء يقومون بإمحاء من يخالفهم أو لا يرغب في التعاون معهم. في جزء آخر من الرواية يشاهد «فياض» عند اشتغاله في مطعم «الجبل» شاهد لوحات على أبواب المطعم تحمل شعارات فارغة، حيث قد كتب عليها بعض ميزات المطعم من حيث الكيفيّة والنظافة والصّحة؛ لكن قد يتمّ أخذ نفقاتها من الزبائن دون علمهم:

«أَمَّا اللَّوحاتُ المُثَبَّتَةُ عَلَى الأَبْوَابِ فَهِي لَا تُشيرُ إِلَى كُلِّ صُنُوفِ العَمَلِ، وَلَيْسَ مِنْ أَحَدٍ يَهْتَمُّ بِلَوْحَاتِ الأَبْوَابِ بَلْ مَا يَجْرِي وَرَاءَ الأَبْوَابِ» (مينة، ١٩٧٧: ٧٨).

إنّ الأحداث السياسية الكبرى وانعكاسها هي من أهم الموضوعات التي تتحدّث عنها الرواية الواقعية، وتؤكّد الواقعية على الانطلاق من إيديولوجية محدّدة للحياة والإنسان ومفهوم الفن وذلك يجعل رؤية الفنان أكثر عمقًا وشموليةً وتماسكًا. إن إيديولوجية حنّا مينة في هذا النص هو انعكاس وخامة الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في لبنان كنموذج من البلاد العربية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وسيطرة المستعمرين عليها. الناس في مجتمع هكذا لم يكونوا سعداء ولا أثرياء؛ بل أنهم فقراء يعانون من أنواع الآلام ويعدون ضمن الطبقة المسحوقة في المجتمع. إنّ مثل هذه الإيديولوجية تكون سلاحًا بيد مينة تساعده على تشريح الظاهرة التي يعالجها، فيظل بمنأى عن تخبطات الحدس والتخمينات التي يمكن أن توقع أدبه وفنّه في وهاد السطحية والمحدودية وعلى أية حال فإنّ الفنان الثوري ينبغي ألا يضحي بالفن على مذبح الأفكار، فالنتائج والتآلف بين الإيديولوجية والفن هو أمر يرتقي بالفكرة ويسمو بالفن في الوقت نفسه (إسماعيل، ١٩٧٥: ١٨). في موضع آخر من هذه الرواية الذي يرتبط بفترة اشتغال «فياض» في المطعم، يعكس الكاتب صورة من نزاع الزبون والبائع نتيجة لإزدياد السعر واضطراب الأوضاع الاقتصادية حيث يعترض الزبون أمام البائع:

«مِنْ سُوقِ النَّارِيَّةِ كَانَ صِيَاحُ الْمُتَشَاجِرِينَ قَدْ جَمَعَ النَّاسَ، وَكَانَ الشَّارِي يَصِيحُ: هَذِهِ لَيْسَتْ لَفَّتِي. فَصَاحَ بِهِ الْبَائِعُ: سُدَّ بُوزَكَ. وَبَدَأَ الضَّرْبُ..... فَقَالَ فَيَّاضُ وَهُوَ يَبْتَعِدُ: «الْغَشُّ فِي كُلِّ مَكَانٍ...مَطْعَمُ الْجَبَلِ لَيْسَ وَحْدَهُ، مَطْعَمُ الْجَبَلِ لَيْسَ وَحْدَهُ» (مينة، ١٩٧٧: ٨٤).

إشاعة الظلم في المجتمع اللبناني من خلال النص أعلاه واضح جدًّا، حيث لا يستطيع الزبون أن يأخذ حقّه من البائع؛ فالبائع إضافة على إزدياد الأسعار يقوم بضرب من يعترض أمام أفعاله؛ فهذا المقبوس يدل على المسائل الموجودة في لبنان كالقمع والخفقان، وعدم وجود الديموقراطية، وانعدام الحرية، والتأخّر وإلخ..... هذا الموقف يشير إلى أن «فياض» بسبب تهرُّبه من القوّات الحكوميّة السوريّة واشتغاله بهوية مزوّرة ما استطاع أن يدافع عن المظلوم؛ لأنه كان من المحتمل أن يتم القبض عليه من قبل القوّات الأمنيّة بمجرد أن تكشف هويته.

إحدى المفاسد المطروقة في رواية «الثلج يأتي من النافذة» هو الفساد الأخلاقي الذي كان حصيلة الاستعمار في المجتمع اللبناني حيث قد حاربه «فياض» كثيرًا وقام بنقد عوامله وممثليه ليعلن انزجاره منه. كان يرى «فياض» طوال اشتغاله في المطعم مفاسد كثيرة منها فساد مسئولي المطعم وزبائنه حيث قد جعله هذا الأمر مضطربًا ومشوَّشًا؛ لأنّه كان يرى هذه الحالات نماذجًا

صغرى من تلك النماذج الكثيرة الموجودة في المجتمع. يطلع «فيّاض» من الفساد الذي روّجه الاستعمار وذلك عن طريق الفساد الشائع في المطعم من خلال حوار قد جرى بينه وبين ميتر الطباخ الرئيسي للمطعم:

«وَقَالَ لَهُ فِي مُنَاسَبَةٍ أُخْرَى: نَحْنُ لَا نَهْتَمُّ هُنَا بِالزَّبَائِنِ الَّذِينَ يَتَنَاوَلُونَ وَجَبَاتِهِمْ عَلَى طَرِيقَةِ السُّيَّاحِ الْعَجَائِزِ... زَبُونُنَا الْمُفَضَّلُ هُوَ الَّذِي يَنْزِلُ إِلَى التَّحْتِ أَوْ يَطْلَعُ إِلَى الْفَوْقِ.

تَحْتٍ وَفَوْقٍ؟ إِذَنِ الْمَطْعَمُ لَا قِيمَةَ لَهُ... الْمَطْعَمُ لَيْسَ إِلَّا وَاجِهَةً جَمِيلَةً وَمُثِيرَةً لِلشَّهِيَّةِ، وَهِيَ مِنَ النَّظَافَةِ بِحَيْثُ لَا تُعْطِي الْعَابِرَ أَيَّةَ شُكُوكٍ عَنْ أَدْرَانِهَا الدَّاخِلِيَّةِ» (المصدر نفسه، ٦٥).

النص المذكور يشير إلى آثار الاستعمار ونتائجه؛ فيعبّر عن وجود نوعين من زبائن المطعم؛ الفئة العامة الذين يترددون لأجل تناول الطعام فقط والفئة الخاصة الذين يختلفون عن الفئة الأولى حيث أصبحوا من فئة الزبائن المميزين؛ لأنّهم ينزلون إلى الطبقة السفلى أو يصعدون إلى الطبقة العليا؛ فالذي يصعد إلى الطابق العلوي هو من فئة هؤلاء الذين يمارسون الفحشاء ومن ينزل إلى الطابق السفلى هو من فئة هؤلاء الذين لا يمارسون الفحشاء بل يهوون لعب القمار. في المشهد المذكور «فياض» كعامل ساذج من عمّال المطعم قد تألّم من مشاهدة هذا النوع من الانغماس في الملاهي حيث كان يستهدف الاستعمار جلب الشباب إلى الملاهي وارتكاب الذنوب وابتعادهم عن ذكر الله. في جزء آخر من الرواية يطلع «فياض» من خلال محادثة ميتر عن وجود أصحاب القمار في الطبقة السفلى وأهل الزنا وهم الأثريا والرأسماليون وأصحاب الشركات النفطية في الطبقة العليا من المطعم حيث يدخلون المطعم بجيوب مملوءة وبعد مضي بضعة أيام يقومون بشراء وجبات الطعام عن طريق الاستقراض يرجون وصول النقود لكي يستطيعوا أن يعوّضوا ما استقرضوه من المطعم وإذا لم يتمّ هذا الأمر يحصل نزاع بينهم وبين عمال المطعم فيلقونهم خارج المطعم كما يلقون النفايات.

«كَانَتِ الْمُقَامِرَةُ فِي الطَّابِقِ السُّفْلَي، وَالْبَنَاتُ فِي الطَّابِقِ الْعُلْوِيّ، وَكَانَ الْأَغْنِيَاءُ مِنْ أَصْحَابِ الإِقْطَاعِ وَرَأْسِ الْمَالِ وَمَالِكِي الْبِتْرُولِ يَنْزِلُونَ إِلَى التَّحْتِ وَيَطْلَعُونَ إِلَى الْفَوْقِ... وَكَثِيرًا مَا كَانَ أَحَدُهُمْ يَدْخُلُ وَجُيُوبُهُ مَلْأَى، وَبَعْدَ بَضْعَةِ أَيَّامٍ يُقَدِّمُونَ لَهُ بَعْضَ الْوَجَبَاتِ مَجَّانًا، بِانْتِظَارِ الْمَالِ الَّذِي سَيَسْحَبُهُ أَوْ يَطْلُبُهُ تِلِغْرَافِيًّا... فَإِذَا لَمْ يَصِلْ، أَوْ إِذَا عَرْبَدَ وَاحْتَجَّ، صَدَرَتِ الْأَوَامِرُ إِلَى الرِّجَالِ فَأَلْقَوْهُ خَارِجًا، بِنَفْسِ السُّهُولَةِ الَّتِي يُلْقِي بِهَا الْمَطْعَمُ نُفَايَاتِهِ آخِرَ اللَّيْلِ» (المصدر نفسه، ٦٥).

تدلّ هذه الفقرة على مجتمع فقد هويته، بعد أن سيطر عليه الاستعمار، حيث نرى المجتمع اللبناني الذي قد لجأ إليه «فياض» لمواصلة محاربة الاستعمار هو في أسوأ الأحوال، إذ شاعت أمكنة الفساد في أنحاء هذا البلد الاسلامي بهدف تضعيف عقائد أبناءه وبعد ذلك السيطرة عليه؛ ففي هذا البلد الذي طالما كان يُحترم الإنسان كإنسان متحليًّا بالآداب ومقيّدا بمبادىء العقيدة والإسلام أصبح الإنسان عديم القيمة وفريسة لكلّ من ينوي أفكارًا معادية للاسلام؛ لأنّ الاستعمار ينظر إلى الإنسان من حيث أمواله وممتلكاته ولا ينظر إلى هويته وقيمته المعنوية؛ فاللوحة المرسومة من خلال تلك الأسطر تحكي عن مكان ذي طابقين؛ طابق علوي وطابق سفلي؛ ففي الطابق السفلي تتوافد كثير من المقمرة وفي الطابق العلوي تجتمع فيه بنات يعاملها صاحب المطعم معاملة البضائع حيث يروّج الفساد في هذا الطابق ويستقبل جميع الأغنياء وأصحاب الأموال الطائلة إلى أن تنفد جيوبهم ويصبحون مجرد نفايات تلقى خارج البناء على يد رجال أقويا يلبون أوامر صاحبهم؛ فهذه هي إحدى أساليب الأعداء لتهديم الثقافة الاسلامية عن طريق خلق أفكار تجعل الشباب في اعتزال تام عن معتقداتهم الإسلامية، حيث إذا خسروا في تخطيطهم ومهمتهم قاموا بتغييرها وإلا يقومون بالسيطرة على فئة مثقفة من أبناء المجتمع لكي يقولوا ولو إننا لم نحقق نجاحا في النمو الفكري، لكن ثقافتنا وعلومنا وفلسفتنا قد نمت نموا ملحوظا. وتفهيم هذا الأمر إلى الشعب على لسان أبنائها هو يجعل الدول الاستعمارية مسرورة (مصباح يزدي،١٣٧٩: ٧٨)؛ امّا الشيء الملفت النظر هو الحوار الذي دار بين فياض مع أحد زملائه في المطعم عن كيفية معاملة أصحاب هكذا مطاعم مع النساء والفتيات:

«وقالَ لهُ زميلٌ قديمٌ، وهوَ يشرحُ مزايا البضاعةِ التي فوقُ.

-البناتُ عندَنا صغيراتٌ وجميلاتٌ...والموردونَ يتقيَّدونَ بهذا الشرطِ...وحينَ تدخُلُ البنتُ يُعاملونَها كالزَّهرَةِ....تُوضَعُ في أفضلِ إناءٍ...ولكنْ حينَ تَذبُلُ...؟ هنا لا يُبقونَ زهورًا ذابلةً.... »(مينة، ١٩٧٧: ٧٦).

قد رسمت السطور السالفة لوحة مؤلمة جدّا حيث يشاهد المتلقي مجتمعًا قد وصل إلى ذروة إنهياره إثر تسلط الاستعمار عليه، إذ يستخدم هذا المطعم بناتًا صغيرات السنّ في غاية الجمال وهو الشرط الرئيسي للدخول في هذا المطعم حيث يُستخدمن تلك الفتيات كأدوات لإكتساب الرواتب والقدرة؛ فالأمر يؤدّي إلى انهيار الاخلاق في المجتمع وتحطيم الأسر وفقدان الهويّة؛ لأن أحد أهداف الدول الاستعمارية هو السيطرة على أفكار المسلمين وإشاعة أصول ومبادئهم اللااخلاقيّة بدلًا من التّعاليم الاسلامية القيمة.

في المجتمعات الاستعمارية أنّ المجتمع هو الذي يعيّن مصير الأشخاص. نص رواية «الثلج يأتي من النافذة» يعكس الايدئولوجية الحاكمة على المجتمع إلى حد ما؛ لأنّ هكذا نصوص قد بنيت على أساس قوانين المجتمع وتبحث عن جذور مصير الإنسان والخصائص الفردية في الظروف البيئية، في الواقع ينظر إلى المجتمع كموجود حيٍّ وقبل أن يقوموا بتحليل الإنسان من الناحية البيولوجية، فإنّهم يدرسونه من الناحية الاجتماعية والتاريخية (پرهام، ١٣٦٠: ٦٤). النص التالي يظهر ذروة ملل «فياض» من المجتمع الفاسد بشكل واضح وجلي:

بالتأكيد، هذا هو تشكيل النص كما طلبتَ:

«وَرَاحَ فَيَّاضُ الْمَدْهُوشُ وَالنَّاقِمُ، يَنْطَوِي فِي ذَاتِهِ عَلَى الشُّعُورِ بِالسُّخْطِ وَالْخَيْبَةِ أَمَامَ هَذَا الْفَسَادِ الدَّابِّ فِي كُلِّ مَا حَوْلَهُ: مَنْظَرُ الْمُقَامِرِ وَالْفَتَاةِ، وَصَاحِبِ الْمَطْعَمِ الْمُجَاوِرِ، وَكُلِّ الْمَشَاهِدِ الْمُمَاثِلَةِ جَعَلَتْهُ يَشْعُرُ بِالْقَرَفِ وَالْغَضَبِ. ازْدَادَ اقْتِنَاعًا أَنَّ الْفَسَادَ الَّذِي يُعَبِّرُ عَنْ نَفْسِهِ بِهَذِهِ الظَّاهِرَاتِ غَدَا عَمِيقَ الْجُذُورِ حَتَّى صَارَ هُوَ الطَّبِيعَةَ، وَخِلَافُهُ الشُّذُوذُ. كَانَ يَتَأَلَّمُ إِذْ يَرَى أَصْحَابَ هَذَا الْفَسَادِ وَضَحَايَاهُ عَلَى السَّوَاءِ لَا يَجِدُونَ غَرَابَةً فِيهِ، كَأَنَّمَا تَوَاضَعُوا عَلَى أَنَّ الْحَالَ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ كَذَلِكَ، وَكُلُّ مَا بَقِيَ هُوَ تَطْهِيرُهَا مِنْ خِلَالِ التَّسَابُقِ لِيَكُونَ لِكُلٍّ مِنْهُمُ الدَّوْرُ الْأَكْبَرُ وَالْمَنْفَعَةُ الْأَكْثَرُ فِي هَذَا التَّطْوِيرِ...وَكَانَ «فَيَّاضُ» وَهُوَ يَتَصَوَّرُ ذَلِكَ، يَتَسَاءَلُ:«إِلَى مَتَى؟» (مينة، ١٩٧٧: ٧٧)».

يعمل «فياض» جاهدًا للخروج من هذه البيئة الملوّثة؛ فإضافة إلى التعبير عن اشمئزازه ونفوره من رؤية مشاهد الفساد، يبحث عن بيئة نظيفة وصحية لمواصلة نضاله وأنشطته ضد الأعداء والأجانب. ولكنّه يجد كل طبقات المجتمع غارقة في الفساد والخراب، وقد غرقت في الفساد إلى حد لا أمل في إصلاحها؛ والقصد من الفساد المذكور هو الفساد الموروثي الاستعماري الذي هو حصيلة سياسات ممنهجة طبقها الاستعمار بهدف السيطرة والنهب، وقد تحول إلى جزء من بنية الدولة والمجتمع بعد رحيل الاستعمار؛ لأنّ هذا النوع من الفساد أدى إلى انغماس كل الطبقات في الفساد وتلوّثت كثيرًا، خلافًا لفساد الناتج عن الشهوات والرغبات؛ لأنَّ هذا الأخير ينبع من داخل المجتمع والحكومة، وسببه الرئيسي هو ضعف الوازع الديني والأخلاقي، والانسياق وراء المصالح الشخصية الضيقة.

٣-٢. حبّ الوطن والحنين إليه

إنّ حب الوطن الأم من أهم موضوعات الأدب المعاصر حيث قد استخدم الكتاب الملتزمون فنّهم الأدبي لتحسين الوضع غير الصحي للمجتمع وأظهروا حبّهم للوطن الحبيب في أعمالهم الأدبية. ومع ذلك، ووفقاً لعقيدة الإسلام بالوطن الإسلامي، بمعنى الأرض الواحدة والمستقلة، إنّ ظهور مفهوم الوطن بين الدول الإسلاميّة هو من مظاهر القرون الجديدة (شفيعي كدكني، ١٣٨٥: ٣٧). الشعور بالغربة والحنين إلى الوطن هو أحد الموضوعات الرئيسة في أدب الحنين وأكبر دافع له هو الابتعاد عن المنزل. الوطن في هذا المنظور لا يعني فقط مسقط الرأس ومكان التنشئة، بل يعني أيضاً المفهوم القومي والعرقي بالإضافة إلى إدراكه الوجودي والصوفي. يتجلّى الشعور بالغربة والحنين إلى الوطن في الغالب في أعمال الشعراء والكتّاب المنفيين أو المهاجرين الذين هاجروا لأسباب سياسيّة ودينيّة. "يعتبر الوطن في شعر هؤلاء الأدباء موضوعاً رئيسيّاً "(آريان بور، ١٣٧٤: ٣٨). عبّر حنّا مينة في كثير من نصوص روايته المذكورة عن وداع الأحبّة بشكل جيّد، بطريقة تجعل قلب كل إنسان يحنّ على أهله وأقربائه وتنسكب الدموع على خدّيه. استخدم ضباط الحكومة لتشريد بطل الرواية وسائل كالنفي وايجاد الرعب والإرهاب حيث أرادوا أن يمنعوا «فياض» من أي نشاط

سياسي ضدهم وبهذه الطريقة أن يراقبوه، لكن «فياض» كان لايبالي بما صنعوا له من مآتم وقيود حيث رجّح الموت على النفي. يرسم حنا مينة ذروة وحشة البطل بعد أن سافر إلى لبنان، بينما أنّ هذه المهاجرة ليست مهاجرته الأولى؛ لأنّه قد سافر إلى لبنان مرارا كما سافر إلى سائر البلدان؛ لكن لم يحسّ بهذه القدر من الغربة والوحشة كما حسّ الآن:

«سَبَقَ له أن زارَ لبنانَ، وزارَ بلدانًا أبعَدَ، لكنَّهُ لم يَحُسّ بالغُربَةِ بهذا الشِّكلِ.....»(مينة، ١٩٧٧: ١٦).

يدلّ السطر المذكور على وحشة البطل في لبنان في فترة من حياته كمشرد ولاجيء وغريب باحثًا عن عمل يسدّ جوعه به ويواصل نضاله أمام الاستعمار والاستبداد والشيء الملفت النظر هو أنّ «فياض» لم يسافر لأول مرّة إلى لبنان، بل زار هذا البلد وما حسّ بهذا النوع من الغربة؛ لأنّه وجد نفسه وحيدًا بين تلّ من المشاكل والمحن، إذ أنّه بعد أن سكن لبضعة أيام في منزل صديقة «خليل» أحسّ بنوع من الذلّ والخفّة والهوان واليأس؛ لأنّه لطالما عاش عزيز النفس في بلده والآن أصبح مضطرًّا إلى عيش ينتظر فيه أن يتصدّق الآخرون عليه وأن يتأدّم من بقايا طعام الآخرين. في الواقع كان يبحث البطل «فياض» عن الحرية التي هي جوهر الإنسان وفقدانها هو الموت الحقيقي له؛ لهذا الحرية في أدب أدباء المقاومة تعني مفهوم خاص في كثير من الأحيان وترتبط بالوطن كثيرا (آجوداني، ١٣٨٥ش: ٢٠).

إنّ حبّ الوطن والحنين إليه لا يقتصر على الشاهد المذكور أعلاه، بل أنّه في موقف آخر من الرواية إشتاق إلى وطنه وأحبابه وأصدقائه وأقربائه:

«كانَ يتألَّمُ بِصَمتٍ وعَجزٍ وشُعُورٍ بِالخَيبَةِ، يذكرُ إخوانَه الذين في السِّجنِ والذين يَعمَلونَ في الخَفَاءِ»(مينة، ١٩٧٧: ٣٦).

يرسم الكاتب من خلال ما تقدّم صورة مميّزة من الحالة النفسية الذي سيطرت على بطل الرواية؛ لأنّه أصبح حزينًا وكئيبًا ويائسًا إذ كان يعاني من السكوت والسكون والعجز كما أنّه كان يتذكّر إخوانه في السجن وكلّ من يعمل في خفاء.

تشير الفقرة أعلاه إلى أن اتصال العالم الخارجي بأفكار فياض قد انقطع وأصبح بعيد المنال. وتتحوّل أفكاره إلى مُثُل عليا لا يستطيع تحقيقها، وبالتالي؛ فيصبح هدفًا لنفسه من أجل تحويل حياته إلى حياة حقيقيّة. يشعر «فياض» بحزن عميق؛ لأنه اضطر إلى ترك وطنه وأصدقائه وأحبائه. يصور مؤلف الرواية غضب «فياض» وحزنه في الابتعاد عن الوطن على النحو التالي:

«يَغضبُ لِخُرُوجِهِ مِن وَطَنِهِ وَنُزُولِهِ ضَيفًا على العائِلَةِ الفَقِيرَةِ وتَمُرُّ الأيَّامُ دُونَ خَبَرٍ جَدِيدٍ ولا أَمَلٍ جَدِيدٍ» (المصدر نفسه، ٣٦).

يمثل السطر أعلاه ذروة وحدة «فياض» ومواجهته لصعوبات ومشاكل المنفى والتهجير. لذلك، ومن أجل تحسين وضعه ومواصلة مقاومته لأعدائه ومخططاتهم، قرر مغادرة منزل خليل من أجل البحث عن عمل حتى يتمكّن من مواصلة نضاله في مكان آخر:

«أنا لا أستطيعُ البقاءَ حبيسًا كسيحًا أكثرَ ممّا فعلتُ عليَّ أن أعملَ...الغربةُ أَقسَى من السِّجنِ وأَقسَى مِنهُما البقاءُ في بيتٍ مكشوفٍ كهذا. لا يستطيعُ فيه حتَّى الذِّهابِ إلى المرحاضِ نهارًا ولا يستطيعُ أن يَكتُبَ...» (المصدر نفسه، ٣٨-٣٩).

وبالتأمل الدقيق في الشاهد أعلاه، نرى أنه بعد أن مرّ بمراحل المطاردة والهروب من قبل قوات العدو، والعيش بضعة أيام في بيت صديقه خليل، والابتعاد عن وطنه وأفراد عائلته ورفاقه وأصدقائه، ومواجهة مشاكل المنفى، أصبح إنسانًا حائرًا عاجزًا يبحث عن مخرج من مثل هذا الوضع البائس من خلال التواجد في المجتمع والحصول على عمل.

وفي جزء آخر من الرواية، يتحدث «فياض» عن إقامته في بيت «خليل»، فيجد الدنيا ضيقة وقلبه يتألم بشدة من غربته وما يترتب عليها من مشاكل، فيقول:

«سَأَبقَى بَينَ هَذِهِ الجدران، أَدُورُ فيها كَحَيَوانٍ في قَفَصٍ..لِمَاذَا خُلِقتُ حَسَّاسًا إلى هذا الحَدِّ؟ يا نِعمَةَ البلادةِ اهبِطِي عَلَيّ، ويا صَبرَ خَليلٍ، يا صَبرَ مُعَلِّمِي الذي فَتَحَ عَلَيّ الحَقيقَةِ وَالشَّقاءِ...» (المصدر نفسه، ٤٠).

في هذا النص يرسم الكاتب صورة من انزواء البطل في غرفة بيت صديقه «خليل» حيث كان يحس بالإحباط. في هذا المشهد، يقارن نفسه بحيوان محاصر في قفص. وبما أنه حساس للغاية تجاه قضايا مثل البحث عن ملجأ لدى أصدقائه المقربين والشعور بالإحباط، فإن «فياض» يتوق إلى نعمة الحياة الخالية من الهموم حتى يتمكن من عيش حياة خالية من الهموم مثل الآخرين.

وفي مكان آخر من الرواية، يشعر «فياض» بالإهانة من عدم تعاطف خليل معه بسبب حذف بعض أجزاء من مقالته، التي كانت ذات نبرة ملحمية، ويشعر بالوحدة الشديدة؛ لأنه أقرب صديق له وأكثرهم حميمية تركه وحيدًا وعاجزًا على هذا النحو، ويترك مصيره في أيدي المجتمع، مفضلًا السجن على المنفى:

«هَبَطَ اللَّيْلُ فَقَالَ فَيَّاضُ: سِيَّانِ أَنْ يَهْبِطَ اللَّيْلُ أَوْ يَطْلُعَ الصُّبْحُ، أَنْتَ وَالْجُدْرَانَ الْأَرْبَعَةَ، وَغَدًا تُسَافِرُ، اللَّيْلَةُ هِيَ الْأَخِيرَةُ، فَلَا تَخْرُجْ مِنْ غُرْفَتِكَ، وَلَا تَمُدَّ يَدَكَ إِلَى زَادِهِ، وَفِي الصَّبَاحِ قُلْ لَهُ: شُكْرًا، ثُمَّ الْبُرْجَ «يَا شَامُ! يَا شَامُ!» لَسَوْفَ أُقَبِّلُ تُرَابَكِ يَوْمًا، وَيَا أُمِّي الْبَعِيدَةُ، سَأَضَعُ رَأْسِي عَلَى صَدْرِكِ، وَيَا إِخْوَانِيَ الَّذِينَ هُنَاكَ، سَأَكُونُ بَيْنَكُمْ وَمَعَكُمْ، وَذَلِكَ أَجْدَى. السِّجْنُ أَفْضَلُ مِنَ الْغُرْبَةِ، السِّجْنُ أَفْضَلُ مِنَ الْغُرْبَةِ» (الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ، ۹۷).

من خلال هذه الفقرة يتبيّن أنّ «فياض» تحدّث مع نفسه وقرّر أن تكون هذه الليلة ليلته الأخيرة، فما خرج من غرفته وما أكل من طعام صديقه ناويًا الرجوع إلى بلده وإلى بيته عند أمه وإخوانه وأخواته وأصدقائه؛ فيفضل السجن على الغربة. في المقطع أعلاه، يتقدم الزمن بشكل يضطر البطل إلى التفكير في تغيير المكان، فيبحث «فياض» عن مكان آخر لمواصلة أنشطته. في المونولوج المذكور، وبعد اليأس من إيجاد حل لتغيير حياته، يضطر «فياض» إلى الاستسلام لظروف المجتمع، ويصبح مصيره محدّدًا من قبل المجتمع.

من أهم النتائج المؤلمة للحرب هو جعل الإنسان بعيدًا عن وطنه وأسرته، ممّا يسبب الحزن والشعور بالغربة والحنين إلى الوطن، والاحساس بالغربة هي حالة عاطفيّة تعبّر عن الحزن والرغبة في الرجوع إلى البيت والوطن، والاستيصال المنبعث من التفكير بالوطن ومن أهم دلائل احساس الغربة هو الانفصال عن البيئة والأهل والأقرباء والاصدقاء. يعتقد معظم علماء النفس أنّ الشعور بالغربة يلعب دوراً أساسيّاً في حنين الإنسان إلى الوطن، فاللاجئون والمهاجرون والجنود هم المثال الأبرز لهذه الظاهرة. فبعد أن تحمل «فيّاض »كل هذه الصعوبات والمشاكل أصبح إنسانا صمودًا يختلف أن الماضي تماما، لذا يقرر أن يرجع إلى موطنه سوريه ويواصل جهاده هناك:

«سَلَامًا يَا أَرْضِي! وَانْحَنى فَقَبَّلَ التُّرَابَ..وَوَقَفَ فَاسْتَقْبَلَ دِمَشْقَ بِوَجْهِهِ: يَا مَدِينَتُنَا الَّتِي لَا أَحْلَى، يَا أُمِّي الَّتِي هُنَاكَ، يَا نَافِذَتِي الَّتِي خَلَّفْتُ، يَا أَحِبَائِي الَّذِينَ فَارَقْتُ، وَيَا رِفْقَتِي الَّتِي سَأَلْقَى!» (المصدر نفسه، ۳۷۲).

يرسم الكاتب صورة مميزة من دخول «فياض» في بلده سورية، إذ يقبل تراب وطنه ويحس بنوع من السعادة التامّة؛ لأنه يكتب الآن لوطنه وهو في يحارب أعدائه، كأنه يقرر أن لا بتعد منه ولايستسلم ولا يهرب أبدا. إنّ البطل «فياض» في هذه السطور يبحث عن ضالته أي المجتمع المثالي وكما نعلم أنّ البحث عن المجتمع المثالي هو من أقدم أنواع الحنين في النفس البشرية الجماعيّة حيث يعتبر البشر نفسه في المنفى، فإنّه مرغم على العودة إلى جذوره وبراءته. ومن هنا يسافر بعض الشعراء والأدباء في أحلامهم للوصول إلى كشف بيئة جميلة ومرغوبة. هذا الحنين إلى "الفردوس الضائع غالباً يكون مصحوبا بالبحث عمّا ضاع " (سيد حسيني، ۱۳۸۱: ۱۸۳)، لهذا يشعر الكاتب أنه ضلّ عن أصله وروحه أيضا، يعيش بعيداً عن منزله الحقيقي "(سه یر ولووی، ۱۳۸۳: ۱۳۱). المجتمع المثالي عند حنّا مينة هو العودة إلى سورية والتنفس في تلك الأرض ومرافقة الأحبّة. ذكر حنّا مينة حياة الرفاهيّة والراحة التي جرّبها سابقًا مع أهله، وشعر بسرور عميق للتفوق على مضي تلك الأيام.

۳-۳. الدعوة إلى الثورة والنضال

من المواقف المركزية والمتكررة في أدب المقاومة الاشادة بالثورات والبطولات وتحفيز المجاهدين والمقاتلين. يذكر القرآن الكريم آيات كثيرة عن الجهاد والإيثار في سبيل الله، وتصدر هذه الآيات حكماً واحداً في مدح الجهاد في سبيل الله وروح الإيثار وذم الطغاة والمعتدين، وبأوامر الله يحارب المسلمون الطغاة في ميادين الجهاد، حيث يصور الأدباء بطولات هؤلاء المجاهدين في أعمالهم الأدبية. يدعو أدباء أدب المقاومة الناس دائما عن طريق الكلمات والمعاني للاتحاد وتكوين صفوف متماسكة ومتناغمة وتجنب الانقسام. ثم يجمعهم لكي يستعدوا للجهاد ضد العدو المعتدي من خلال إيقاظ شعور الإيثار لدى الناس، يدعونهم إلى

محاربة الاستبداد والاستعمار الأجنبي والقمع والتمرد. ترافق هذه الدعوة أحياناً وصف للمجتمع وتعبير عن أوضاع سياسية واجتماعية ووصف لقمع المحاربين وتعزيز الشعور بالمسؤولية في الدفاع عن الدين والوطن والشرف. الدعوة إلى الثورة والنضال هي إحدى السمات البارزة في رواية «الثلج يأتي من النافذة». إن حنّا مينة في الرواية المذكورة يحث المواطنين السوريين إلى الصمود والمقاومة ونبذ التفرقة والدعوة إلى الاتحاد. قد جاء الكاتب في هذه الرواية بسطور حماسية على لسان «فياض» بطل الرواية لكي يشجع المجاهدين للحضور في ميادين الجهاد. إنّ حنّا مينة رسم صورة واضحة من بطولات المجاهدين، وذلك عن طريق ذكر تضحياتهم في سبيل الوطن والأهل والمواطنين. تحاول القوات الحكومية في الرواية المذكورة منع «فياض» من النشاط السياسي ضدها؛ فألقت الرعب والخوف في صفوف المخالفين مستخدمة أدوات النفي والتعذيب، لكن «فياض» يرجّح الموت على النفي جهارًا بصوت عال وواضح.

«إنَّني أَكتُبُ لأَجَل الذين هُنَاك...الذين يَذوونَ، يَذُوبونَ، ويقُولونَ لي: أَنتَ تَكتُبُ بِحَماسَةٍ. أَجَل بِحَماسَةٍ، أُريدُها كَلَمَاتٍ مِن نَارٍ، تَكوِي، تَحرُقُ» (مينة، ١٩٧٧: ٩١).

تعد هذه المرحلة ذروة تجربة النضال؛ لأن فياض يعمل في كتابة منشورات ثورية وطبعها، فهو قد تعدى مرحلة العمل الفردي (المعاناة الشخصية) إلى نشر المبادئ الثورية (الكفاح السرّي والعمل القيادي)، فالعمل إلى جانب الثقافة (فياض) والثقافة إلى جانب العمل (صديقه خليل)، هما طريق صنع المناضلين الثوريين وهما طريق الخلاص من الحيرة والتردد، بل الخلاص من الغربة (الماضي، ١٩٨٩: ١٥٤).

تتعلق السطور المذكورة بموضوع مناهضة العدوان وغزو الأعداء؛ حيث تدلّ على اهتمام الكاتب بأبناء وطنه حيث يدعوهم إلى محاربة الأعداء؛ فيشبّه قلمه وألفاظه بالنار التي تُصلي وتحرق؛ فيمكن القول: إنّ حنّا مينة يركّز على الدفاع عن الوطن كثيراً، فيذمّ التفرقة وتجاوز الأجانب وهجومهم على البلاد الاسلاميّة. إضافة على ذلك، يدافع مينة عن الاسلام وذلك يتجلى في انتقاده من نفوذ الأجانب داخل البلد. ينظر مينة إلى الحرب ضد الأجانب من منظور الدين دائماً، ويعد (الجهاد) العنوان الأنسب لحياة الأمّة حيث شجع هذا الكاتب الجرئ في أجزاء كثيرة من رواية «الثلج يأتي من النافذة» أبناء وطنه على المقاومة فجعل الرعب والخوف في قلوب المعتدين والطغاة.

إنّ الالتزام هو من أهم وظائف وديون أدباء المقاومة حيث قد جعلوا هذا الالتزام في رأس أمورهم ومقدمة أعمالهم؛ فالأديب يطلب من شباب وطنه الحضور في ساحة الحرب فيستعمل كلمات كأنّها سيف مهنّد يوقظ الضمائر النائمة فهو يصرخ بأعلى صوته حتّى تنعكس أصدائه في أرجاء العالم، يذكر ماضي وطنه بما فيه من الفاخر والكرم حتّى يبعث في قلوبهم الأمل إلى الكفاح والمضي قدماً أمام مستقبل مشرق (خضري وآخرون،١٤٣٦: ٨). إن مينة لكي يرسم صورة واضحة عن روح الحماس والنضال، والمقاومة والتضحية بالنفس في طريق الوطن والأحباء قام بذكر النملة وجهودها على لسان «فياض» بطريقة المونولوج قائلًا:

«النَّملُ، كما في الأسطُورةِ، ثَقَبَ الجَبَلَ، وَفَتَحَ فيه طاقةً. وأنتَ قادِرٌ أن تَثقَبَ جَبَلَ الأَخلاقِ والعَاداتِ والأفكارِ. وكُلُّ ما ويَلزِمُكَ صَبرَ النَّملِ ودَأبِهِ..اصبِر..(مينة، ١٩٧٧: ٣٤١-٣٤٢).

في السطور السابقة يتحدّث بطل الرواية «فياض» مع نفسه عن تلك النملة الساعية والدؤوبة التي ثقبت الجبل وفتحت فيه منفذًا وبهذه الطريقة أخذ يشجّع نفسه للصمود أمام الأعداء والمعتدين؛ فيريد أن يتخذ النملة أسوة ويسير على أسلوبها ويتحلّى بصبرها. النص المذكور يدلّ على روح الحماس القويّة عند «فياض» في مواجهة الأعداء والصمود أمامهم حيث يتخذ عناصر الطبيعة عامة والنملة التي تعد رمزًا للصمود والمثابرة خاصة أسوة له لكي يستطيع أن يحقّق أهدافه في الدفاع عن الوطن. إنّ الكاتب باستخدام هذه الطريقة، بالإضافة إلى الحفاظ على روح المقاومة والنضال في نفوس الشعب السوري، يزيد من الثراء الدلالي لعمله باقتباس التراث، لأن "النص المنفصل عن الماضي والمستقبل هو نص قاحل"، ووفقاً لرولان بارت فهو نص بلا ظلّ"(الرزقة، ٢٠٠٣: ٤٤).

إن الثورة والنضال في البلاد التي تعاني من الحرب والاحتلال والاستعمار تعد ضالة منشودة حيث يبحث عنها المواطنون في كل

لحظة وحين، لهذا أن حنّا مينة قد أظهر عن أمله وأمل أبناء وطنه في الوصول إلى الحرية حيث يجمعهم هدف في أخذ الثأر من العدو وطرده من الوطن. في قسم من الرواية يرسم حنا مينة محاربة «فياض» مع أهوائه وأمياله النفسانية في منزل جوزف لكي يحث روح الحماس والجهاد في الآخرين، إذ كانت تمرّ على ذاكرته صورة الفتاة التي تنظر إليه من خلف النافذة عندمان كان يسكن في بيت صديقه «خليل»؛ فحارب البطل تلك الأهواء والأميال وجاهد من أجل تحقق أهدافه وواصل جهاده:

«إِنْكَبَّ فَيَّاضٌ عَلَى عَمَلِهِ فِي بَيْتِ جُوزِيفَ... هُوَ أَيْضاً فَكَّرَ وَأَغْمَضَ عَيْنَيْهِ وَتَصَوَّرَ «النَّافِذَةَ الْمُقَابِلَةَ». وَكَانَ تَوَّاقاً وَقَادِراً عَلَى الانْدِفَاعِ كَأَعْصَارٍ... إِنَّهُ يَحِسُّ وَرُبَّمَا أَكْثَرَ مِنْهَا، بِالْحَاجَةِ إِلَى تَحْطِيمِ الْجَلِيدِ الْمُصْطَنَعِ لِحَيَاتِهِ الدَّاخِلِيَّةِ وَلَكِنَّهُ، فِيمَا نَذَرَ نَفْسَهُ لَهُ، كَانَ يَفْهَمُ قِيمَةَ التَّضْحِيَةِ الَّتِي تَعْلُو عَلَى مَعْنَى اللَّذَّةِ» (مينة، ١٩٧٧: ١٥٠).

في الفقرة المذكورة أعلاه، تحمل العبارة الرمزية «تحطيم الجليد المصطنع» قدرًا كبيرًا من الحمل الدلالي والإيحائي؛ لأنه بالإضافة إلى التعبير عن إحياء إحدى القيم الحقيقية، وهي محاربة النفس، يشير أيضًا إلى الرغبات النفسية التي هي رسل الملذات العابرة، والأفراح الآنية، والجماليات الظاهرة لمشاعر البطل.كما أنّ الكاتب يحاول أن يبث روح الأمل والانتصار بين أبناء وطنه ليقفوا صامدين أمام الأعداء قائلًا:

«أَيَّتُهَا الأَشْجَارُ، يَا أَشْجَارَ الحَدِيقَةِ، يَا عَزِيزَتِي... لَنْ يَلْبَثَ هَذَا الثَّلْجُ أَنْ يَذُوبَ، أَتَسْمَعِينَ؟ سَتُشْرِقُ الشَّمْسُ وَيَذُوبُ الثَّلْجُ وَيَنْبُتُ العُشْبُ وَتَرْعَى الخِرَافُ» (المصدر نفسه، ٣٦٥).

إن الفقرة المذكورة تستخدم رمزياً كلمة "الثلج" التي تحمل دلالات دلالية كالركود والكساد السائد في المجتمع، وتبشر بقدوم مستقبل مشرق، وهو ما يتجلى في التعبير الرمزي الذي تجلّى في عبارة "ستشرق الشمس". في العبارة المذكورة أعلاه، فإن الجمع بين أحد حروف التسويف "س" وحرف "ش" لا يخلق صدى موسيقيًا لطيفًا فحسب، بل يشير أيضًا إلى وصول أيام مشرقة في المستقبل القريب، حيث تُمحى هذه الحالة المملوءة بالخوف والحزن والاستغراب.

في الواقع كان يفكر البطل «فياض» ببناء مجتمع مثالي، إذ أن هذه الفكرة هي فكرة إنسانية ضد المصاعب، وتصميمها مرتبط بشكل مباشر بالظروف الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة للمجتمع والأرواح البشريّة. إنّ المجتمع المثالي هو صعب الوصول، حيث يتصوّره الانسان في أحلامه وأحد تطلعاته عبر التاريخ لتحقيق السّعادة"(عالي عباس آباد، ١٣٨٧: ١٥٩-١٥٨).

في الحقيقة حاول الكاتب بتغطيته هذا الموضوع أن يشير إلى أوضاع بعض الدول المسلمة التي قد فقدت عزمها وارادتها أمام الاستعمار والاستبداد حيث نشطائها السياسيون أصبحوا مجرد أداة في يد الاستعمار، لهذا قرر الكاتب على لسان «فياض» أن يهتم بايقاظ الناس وتخلصهم من الظلم الموجود في البلد؛ لأن بلده يحتاج إلى جهاد فكري وثقافي لكي يجعله صمودا ضد أفكار الغرب ولا ينحني أمامه بأي نحو من الأنحاء.

٣-٤. إثارة اليقظة بين الناس

إثارة اليقظة بين الناس أمام دسائس الأعداء، وخاصة المستعمرين والمعتدين، أحد الموضوعات الأكثر شيوعًا في أدب المقاومة. "أدب المقاومة هو مواجهة جميع أشكال الاستعمار والاستغلال؛ لأنّ تأثير السلاح يقتصر على عالم الحرب، لكن تأثير الكلام مستمر ومتواصل دائمًا (آل بوية لنكرودى وأميرنجاد، ٢٠١٥: ٣٠). إنّ أدباء هذا المجال يحذّرون جمهورهم دائمًا من الخطر الذي يتهدّدهم من العدو، لذلك فإن أدبهم يوقظ الجمهور من نوم الإهمال ليتّخذوا مواقف جادّة ضدَّ تهديدات الأعداء. يسعى حنّا مينة إلى توعية المتلقّي في جميع رواياته. إنّه مصلح اجتماعيّ يتعلّق بوطنه لدرجة أنّه عارض أي عامل داخلي أو خارجي يسعى إلى تعريض استقلال بلده وأمنه وحريّته للخطر. إنّ حنّا مينة يتجنّب أحيانًا التعبير عن القضايا الاجتماعيّة بشكل مباشر ويتحدّث عنها بصورة غير صريحية مستخدما الرموز في بعض الأحيان. إنّه من أدباء العرب المعاصرين الذي يعكس أدبه الأحداث السياسيّة والاجتماعيّة المهمّة للمجتمع السوري،حيث هذا الأمر جعل أدبه إبداعًا وزاد من خصوبة عاطفته واحساسه؛ لأنّ محتوى رواياته لها نكهة إسلاميّة حيث يعشق وطنه، ويحبّ ماضيه، ويجعل أعماله تنبض بالحياة.

إثارة اليقظة بين النّاس والصّمود أمام الأعداء ومقاصدهم الاستعمارية هو من المضامين الهامّة التي قد تكرّر في رواية «الثلج يأتي من النافذة»كثيرًا. يغتنم «فياض» بطل الرواية كثير من الفرص ليدافع في بعض المواقف عن القيم الاسلامية لكي يوقظ شعبه ضد الطغاة والمعتدين. إنه في قسم من الرواية قام بجدل عنيف أمام هؤلاء الذين قد دسوا دسائسهم ضد الوطن حيث استخدم قلمه للدفاع عن الوطن وأبنائه بحبّ وحنان بعيدًا عن أي خوف ومداراة:

«سأبعثُ بِمَقَالاتٍ للصُّحُفِ بِتَوقِيعٍ مُستَعَارٍ...فيا إخوَاني هُنَاك أنا مَعَكُم، بِفِكرِي مَعَكُم، بِقَلبِي ورُوحِي مَعَكُم، وإنّي لِأَمنَحُكُم حُبِّي، وهو كُلّ ما أَملِكُ في الوَقتِ الحاضِرِ» (مينة، ١٩٧٧: ٨٦).

تعرّف حنّا مينة على الواقع السياسي والاجتماعي من قريب بصفته رجلًا سياسيًا يمارس مهنة الصحافة، حيث استطاع أن يجمع بين عنصر الخيال والمواضيع الواقعية والمسائل الاجتماعية وأن يؤثر بتجاربه الاجتماعية ومواهبه الأدبية الفذّة في عالم الروايات والقصص العربي وأن يعطيه طابعًا واقعيًا. ومصداق ذلك نزعته الماركسية التي قد جعلته متأثرًا بالمدرسة السوسيالية الواقعية، وهي المدرسة التي تهتم بحياة الفقراء وتظهر مشاكلهم الطبقية وكيفية ثوراتهم الجمهورية (ناظميان ولطيفي، ١٣٩٢: ١٠١). يتبيّن من خلال ما تقدّم أن فياض مهتمّ بأوضاع وطنه عندما كان مشرّدًا في لبنان حيث يكاتب إخوانه المسلمين في سوريا؛ فتعد مكاتباته معهم نوعًا من الجهاد عن طريق انتشار المقالات بهدف ايقاظ المسلمين مبيّنًا مواقف هؤلاء الخونة في الملأ العام بشجاعة مميّزة لا مثيل لها وذلك عن طريق كشف دسائس الأعداء والأجانب وتقوية معنويات أصدقائه وفي هذا الطريق يتحمّل أنواع المصاعب والمشاكل.

إنّ الشعراء والأدباء لهم دور رائد في يقظة الناس واستيقاظهم من نوم الغفلة وفتح عيونهم عمّا يسيطر عليهم وعلى أغلى ما لديهم؛ لأنّهم كانوا يصرخون ويندّدون بأعمال اللاإنسانية والوحشية «لذلك فالأمم العظيمة عندما تضلّ الطريق، ويتعذّر عليها معرفة السبل للنجاة، تفتّش عن أدبائها وشعرائها؛ فيأتي الأدباء والشعراء في مقدمة أبناء الأمة، تحسّساً لمصائبها وهمومها » (معروف وكياني،٢٠١٢: ٣٢). في جزء آخر من الرواية يقوم الكاتب بذكر بعض المشاكل والصعوبات على لسان بطل الرواية «فياض» كمركز ثقل وكمحور رئيسي مهتمًّا بتقوية معنويات أصحابه أمام دسائس الأعداء:

بلال! بلال! يا ماردَ الايمانِ في وَجهِ أقزامِ الجاهليَّةِ، يا حسنَ الخرَّاطِ، يا حارس دمشقَ، غورو جلا عن دمشق، وجنكيز خان ذكرى كئيبةٍ وملعونةٍ. نحنُ وهُم، وهم يَحكُمونَ الآنَ، الرّجعيون يَحكمونَ الآنَ، وَلَسَوف يَنتَهي حُكمُهُم يَوماً(.....)، ولأجل ذلك علينا أن نَعمَلَ، ولأجل ذلك عليَّ أن أَكتُبَ (مينة، ١٩٧٧: ١٢١).

في السطور الآنفة الذكر يصف حنّا مينة على لسان بطله «فياض» أصحابه الذين صمدوا في وجه العدو بصفات مميّزة لكي يشجّعهم في مواصلة جهادهم ضد هؤلاء المعتدين؛ فيصف بلال بمارد الايمان في وجه الأقزام الجاهلية، كما أنّه يصف حسن الخرّاط بحارس دمشق ويبشرهم بإتيان نهاية حكومة الرجعيين، لهذا يحثهم على العمل والمثابرة والجهاد وهو أول من يقوم بهذا الأمر بقلمه وأدبه.

فالسطور المذكورة تشير إلى محاربة البطل الأعداء حيث يحث هؤلاء الغيارى للدفاع عن الوطن إلى آخر قطرة دم وآخر نفس. إنّه كشخص معترف بالماركسية يصمم أن يخوض المعارك بصورة عمليّة لكي يستطلع من أوضاع الطبقة الضعيفة المكوّنة من الفقراء والعمّال، لذا يقوم بأعمال كالاشتغال في المطاعم وبناء الأبنية وورشة صغيرة يصنع فيها المسامير وفي هذه الأثناء يتحمّل أنواع الحقارة والتشريد والتهجير إلى أن بات كم ليلة في الشوارع دون ملجأ حيث تمنّى أن يكون له ملجأ كتلك الكلاب التي تلجأ إلى بيوتها؛ لكن رغم هذه المشاكل والصعوبات لا ييأس «فياض». في الواقع يصمم «فياض» على العمل بيده ليثبت إنسانيته ويدفع عنها الفساد وإذا كان هربه إلى بيت «خليل» تعبيرًا عن أزمة انتمائه كمثقّف بورجوازي صغير إلى الثورة، فإنّ تصميمه على العمل يعد بمثابة انتصار على ما تبقى من نفسه من آثار الطبقة الاجتماعية التي ينتمى إليها (بركة، ٢٠٠٢: ٦٧).

كما يدل النص على اهتمام «فياض» كبطل رئيسي لهذه الرواية بمسائل الوطن وما أحاطت به. يحاول «فياض» أن يفضح هؤلاء الطغاة ويعرّف عمالهم السوريين الذين باعوا الوطن إزاء ثمن بخس إلى المواطنين السوريين. إنه يسعي لايقاظ الجمهور من سبات الغفلة والنوم لكي لا يتورّطوا في فخّ الأعداء ولا يصبحوا مجرد دمية للمعتدين.

إن اللحن الانتقادي في كلام «فياض» واضح جدًّا من خلال العبارات التي مرّت بنا آنفًا حيث قد عبر عن بغضه إزاء الأعداء في عبارة «جنكيز خان ذكرى كئيبةٍ وملعونةٍ» كما اعتقد أنّ يقظته قد ورّطته في أسرهم، فالأدب الوطني هو ردّة فعل للأحداث السياسية وظلالها، وتسجيل المواقف الوطنية بإزائها؛ لأنَّ الأدب يمهّد لها، ويضع لها مسوّغاتها، من هنا تمتزج الرؤى الوطنيّة، والسياسية بأدب الكاتب.

النتائج

تُعد رواية «الثلج يأتي من النافذة» للروائي السوري حنا مينة نموذجًا بارزًا لأدب الواقعية الاشتراكية، حيث سخّر الكاتب قلمه لخدمة قضايا المجتمع السوري والعربي، مسلطًا الضوء على معاناة الفرد والجماعة تحت وطأة الاستعمار والاستبداد. تجلّت مضامين الوطنية في هذه الرواية من خلال نقد الواقع السياسي والاجتماعي المتدهور، ومن ثم تقديم صورة مثالية للانتماء الوطني عبر التضحية والفداء. إنّ مينة يُظهر كيف تغلغل الاستعمار في مفاصل المجتمع اللبناني وترك وراءه فسادًا اقتصاديًا وأخلاقيًا. هذا الفساد هو "حصيلة سياسات ممنهجة طبقها الاستعمار بهدف السيطرة والنهب"، وقد تحول إلى جزء من بنية المجتمع. كما أنّ الحنين إلى الوطن ومعاناة الاغتراب هي من أكثر المشاعر الإنسانية التي ركز عليها الكاتب. يعيش بطل الرواية «فياض» حالة من الوحدة والاغتراب النفسي في منفاه اللبناني، فيتذكر وطنه سوريا، وأمه، وإخوانه، ورفاق النضال. هذا الحنين يتجاوز كونه حبًا للمكان ليشمل الحنين إلى حالة نفسية من العزة والكرامة التي افتقدها في المنفى. وكذلك تمثل «الدعوة إلى الثورة والنضال والمقاومة» جوهر الوطنية الفاعلة في الرواية. يتحول البطل «فياض» من شخص هارب إلى مناضل يقرر العودة لمواجهة الظلم. تظهر الدعوة إلى النضال من خلال كتابة المنشورات السرية، والصمود في وجه المشقة. إنّ «إثارة اليقظة بين الناس» هي المرحلة التي تسبق العمل الثوري. يسعى «فياض» عبر كتاباته ومراسلاته إلى كشف "دسائس الأعداء والأجانب" وتوعية المواطنين بمؤامراتهم، ويهدف إلى إيقاظ الجمهور من "نوم الغفلة" ليدرك حجم الخطر الذي يهدد هويته الوطنية والدينية.

تميزت رواية «الثلج يأتي من النافذة» لـ "حنا مينة" باستخدام آليات سردية متعددة لنقل المضامين الوطنية، بالاعتماد على مبدأ "الواقعية النقدية" التي تمزج بين الفن والأيديولوجيا. استخدم الكاتب شخصية «فياض» كمركز ثقل للأحداث وناقل للرؤية الوطنية. «فياض» هو المناضل الذي يتطور وعيه تدريجيًا من مجرد هارب إلى ثوري عصامي، إذ يستطيع من خلال وعيه أن يكشف تناقضات المجتمع. هذا البطل لا يمثل نفسه فقط، بل يمثل نموذجًا للطبقة الكادحة والمثقفة التي تدرك واجبها نحو وطنها، كما اعتمد مينة على السرد التفصيلي للأحداث والوصف الدقيق للبيئة والمشاهد، بهدف خلق صدام وجداني وفكري لدى القارئ. فعلى سبيل المثال، لم يقل الكاتب أن المجتمع فاسد بشكل مباشر، بل رسم بالتفصيل مشاهد من داخل المجتمع تاركًا للقارئ استخلاص نتيجة أن هذا الفساد هو نتاج مباشر لسياسات الاستعمار. استخدم الكاتب تقنية المونولوج الداخلي بشكل مكثف للتعبير عن المشاعر الوطنية الدفينة، حيث يكشف عن الصراع النفسي العميق بين اليأس والأمل، وبين الاستسلام والعودة إلى الوطن. هذه التقنية تجعل من الوطنية تجربة إنسانية حية وليست مجرد شعارات.

المصادر والمراجع

الكتب

أبوحاقه، أحمد (١٩٧٩)، الالتزام في الشعر العربي، ط١، بيروت: دار العلم للملايين.
إسماعيل، عزالدين (١٩٧٥)، الشعر في إطار العصر الثوري، بيروت: دار القلم.
آجودانی، ماشاءلله (١٣٨٥ش)، الموت أو التجدد، طهران ،اختران.
آرين‌بور، يحيى (١٣٧٤). من صهبا إلى نيما، شركة فرانكلين. طهران، المجلد٢، ط٥.
بركة، بسام (٢٠٠٢)، مبادئ تحليل النصوص الأدبية، القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر.
جمعه ،حسين (٢٠٠٧ الف)، المقاومة، قرآءه فی التاريخ و الواقع و الآفاق ،ط١،دمشق: طبعة اتحاد الكتاب العرب.
جمعه ،حسين (٢٠٠٧ب)، مشروع القوميه العربية،ط١،القاهرة : طبعة نهضه مصر.
سه ير، رابرت ولووي ميشل (١٣٨٣)، الرومانطيقية والأراء الاجتماعية،ط٢، طهران: انتشارات منظمة چاپ.
سيد حسيني، رضا (١٣٨١)، المكاتب الأدبية، ط ١٢، المجلد الأول، طهران: انتشارات نگاه.
شفيعي كدكني، محمد رضا (١٣٨٥)، موسيقى الشعر، طهران: انتشارات آگاه.
مجلسي، محمد باقر (١٩٨٣)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار(ع). ط٣، بيروت: إحياء التراث العربي.
مجموعة كتّاب آكاديمية العلوم في اتّحاد السوفيتي (١٣٦٧)، تاريخ الدول العربية المعاصر، الترجمة: محمد حسن روحاني، ط ٢، تهران: انتشارات توس.
مصباح يزدي، محمد تقی (١٣٧٩ش)، «الأصول والقيم الاسلامية وخطر التهاجم الثقافي» نشر مكاتبه وانديشه، العدد٦.
مينة، حنّا (١٩٧٧ م)، الثلج يأتي من النافذة؛ ط٢، بيروت: دار الآداب.

المقالات والرسائل

آل بويه لنگرودي، عبدالعلي، اميري‌نژاد، مرتضى (١٣٩٤)، «استدعاء الشخصيات الدينية في الأدب المقاوم المعاصر؛ شخصية مسيح(ع) أنموذجا»، فصلنامة لسان مبين، قزوين، جامعة امام خميني (ره) الدولية، الدورة ٦، العدد٢٠، صص ٢٥-٤٤.
خضري، على ورسول بلاوي وفاطمه محمدي (١٤٣٦)،ملامح المقاومة في شعر عبدالرحيم محمود، السنة الثامنة عشرة، العدد ٢، آفاق الحضارة الاسلامية، آكادمية العلوم الانسانية والدراسات الثقافية، صص١-٢٢
ريماش، ريمة (٢٠١٤)، «البُعد السياسي والاجتماعي في رواية «الثلج يأتي من النافذة» لحنّا مينة»، مذكّرة لنيل شهادة الماستر في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، الجمهورية الجزايرية الديموقراطية الشعبية.
الماضي، شكري (١٩٨٩)، الدلالة الاجتماعية للشكل الروائي في روايات حنّا مينة، مجلة اللغة والآداب، ديسمبر، العدد ٣١.
معروف، يحيى ورضا كياني (١٤٣٣ق)،ملامح المقاومة في شعر قيصر امين بور وعزالدين المناصرة، مجلة العلوم الانسانية الدولية، العدد١٩.
ناظميان، رضا ولطيفي، سمية (٢٠١٣)، «تحليل السياسة في الروايات السورية استناداً إلى رواية «الثلج يأتي من النافذة» لحنّا مينة»، لسان المبين، الدورة ٥، العدد ١٣، صص ٩٦-١١٠.

Sources and References

Books

Abu Haqqah, Ahmad (1979), Commitment in Arabic Poetry, 1st ed., Beirut: Dar al-Elm el-Malayeen.
Ismaeel, ez al-Din (1975), Poetry in the Context of the Revolutionary Era, Beirut: Dar al-Qalam.
Ajoudani, Mashallah (1385 AH), Death or Renewal, Tehran: Akhtaran.
Arianpour, Yahya (1374 AH). From Sahba to Nima, Franklin Company, Tehran, Vol. 2, 5th ed.
Barakat, Bassam (2002), Principles of Literary Text Analysis, Cairo: Al-sherkat Al-Mesriyat Al-Alamiyat lelnashr.
Jumah, Hussein (2007), Resistance: Readings in History, Reality, and Horizons, 1st ed., Damascus: Tabat Ettehad kottab Al-Arab..
Jumah, Hussein (2007b), The Arab Nationalist Project, 1st ed., Cairo: Tabat Nahzat Mesr.
Se yer, Robert and Louis Michel (1383), Romanticism and Social Views, 2nd ed., Tehran: Publishing Monzzamat Chap.

Sayyed Hosseini, Reza (1381), Literary Offices, 12th ed., vol. 1, Tehran: Negah Publications.
Shafiee Kadkani, Mohammad Reza (1385), The Music of Poetry, Tehran: Agah Publications.
Majlesi, Mohammad Bagher (1983), Behar al-Anwar al-Jame'a le-Durar Akhbar al-A'immah al-Athar (a.s.), 3rd ed., Beirut: Ehya' al-Turath al-Arabi.
A group of writers from the Academy of Sciences of the USSR (1367 AH), *A Contemporary History of the Arab States*, translated by Mohammad Hassan Rouhani, 2nd ed., Tehran: Toos Publications.
Mesbah Yazdi, Mohammad Taqi (1379 AH), "Islamic Principles and Values and the Danger of Cultural Assault," Nashr mokatabah va Andisheh Library Publications, No. 6.
Minah, Hanna (1977 CE), *Snow Comes Through the Window*, 2nd ed., Beirut: Dar al-Adab.

Articles and Letters

AAl-Bouyeh Langroudi, AbdolAli, Amirnejad, Morteza (1394 AH), "The Use of Religious Figures in Contemporary Resistance Literature: The Messiah (PBUH) as a Model," *Lesan-e Mobin* Quarterly, Qazvin: Imam Khomeini International University, 6th session, No. 20, pp. 25-44.
Khezri, Ali, Rasoul Balawi, and Fatima Mohammadi (1436 AH), "Features of Resistance in the Poetry of Abd al-Rahim Mahmoud," Eighteenth Year, Issue 2, Horizons of Islamic Civilization, Academy of Humanities and Cultural Studies, pp. 1-22.
Rimash, Rima (2014), "The Political and Social Dimension in Hanna Minah's Novel 'Snow Comes Through the Window'," Master's Thesis, Department of Arabic Language and Literature, Larbi Ben M'hidi University, Oum El Bouaghi, People's Democratic Republic of Algeria.
Al-Mazi, Shukri (1989), The Social Significance of the Narrative Form in the Novels of Hanna Minah, *Journal of Language and Literature*, December, Issue 31.
Ma'rouf, Yahya and Reza Kiani (1433 AH), Features of Resistance in the Poetry of Qaysar Aminpour and Ezzedine Al-Manasrah, *International Journal of Human Sciences*, Issue 19.
Nazemian, Reza and Latifi, Somayeh (2013), "An Analysis of Politics in Syrian Novels Based on Hanna Minah's *Snow Comes Through the Window*," *Lesan Al-Mubin*, Volume 5, Issue 13, pp. 96-110.